حلقة الإرهاب المغلقة

كما مر معنا في الفصل الأول من الكتاب، فإن جميع الصفات الكريهة التي يمكن للعقل البشري أن يتخيلها قد عمل أباطرة هوليود على إلصاقها بالعرب والمسلمين، فعلى امتداد القرن العشرين -الذي شهد مولد السينما في بدايته- كانت سلسلة من الصفات المشينة تُقدم على أنها طباع أصيلة في حياة هؤلاء البشر، ومنها التخلف، البداوة، الجهل، القذارة، القبح، الشهوانية، الطمع، والخيانة[1]، وكان آخر هذه الصفات بروزاً على الساحة وأكثرها تحقيراً وبشاعة هو ذلك الميل الفطري إلى العنف والقتل والتدمير، أو ما يسمى مجازاً بالإرهاب، وقد بدأت هذه الصورة القبيحة بالظهور المنهجي والمدروس مع بدء الصراع العربي- الصهيوني، حيث تحولت هوليود بكل إمكانياتها منذ ذلك الحين إلى بوق دعائي لمصلحة إسرائيل، وتجسدت هذه الدعاية في أفلام من قبيل (Cast a giant shadow) الذي أنتج قبل نكسة ١٩٦٧ بسنة واحدة، وأدى فيه اليهودي

(١) لقد نجح اليهود من خلال سيطرتهم على هوليود في غسل أدمغة الشعوب التي كانت تلصق بهم تلك الصفات الكريهة طوال قرون في أوربا وأمريكا، وحلت بدلاً منها صورة اليهودي العبقري الناجح والمخلص لشعبه وللبشرية، في حين ألقيت جميع تلك الصفات السيئة التي عُرفوا بها على المسلمين، ومن أشهر الأمثلة على هذا السلوك الوضيع: الجزء الثاني من فيلم (والد العروس) الذي عُرض أكثر من مرة في محطات فضائية عربية! حيث يقوم ممثل يهودي بدور العربي (حبيب) الذي يبتز بطل الفيلم بطريقة تعيد إلى ذهن المشاهد الصورة التي كانت لصيقة باليهود في أوربا وتجسدت في الكثير من الأعمال الأدبية مثل مسرحية شكسبير (تاجر البندقية).

(كيرك دوغلاس) دور ضابط أمريكي يذهب لمساعدة إسرائيل في الحرب ضد العرب، وكما هي العادة في الأفلام الدعائية فإن الكلام الذي يتفوه به (دوغلاس) لا يكاد يختلف عن أي بيان سياسي لقادة (إسرائيل)، إذ يقول في أحد المشاهد وبحماسة بالغة: «إنها دولة تحيط بها خمس دول عربية تريد رميها في البحر المتوسط، إنهم لا يملكون دبابات ولا طائرات ولا أصدقاء، لا شيء، الناس يقاتلون بأيديهم فقط للحصول على جزء من الصحراء»! وبطريقة ما يظهر الفلسطينيون في الفيلم وكأنهم وحوش على هيئات آدمية، وقد أدى هذه الأدوار ممثلون (كومبارس) عرب تم جلبهم لهذا الهدف الدنيء، ثم أغفلت أسماؤهم في شارة الفيلم بعد أداء المهمة.

ومع استمرار الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، استمرت سياسة هوليود في التحقير الموسوم بالإرهاب لكل ما هو عربي أو مسلم، ففي فيلم (**الخروج**/ Exodus) يتم الربط بين الفلسطينيين والنازية! أما فيلم (death before dishonor) الذي أنتج سنة ١٩٧٨ فنرى فيه الفلسطينيين وهم يقتلون عائلة إسرائيلية بدم بارد، ثم يقتلون ضباطاً آخرين، ويفجرون سفارة أمريكية في بلد عربي بعملية انتحارية، وقد استعان المخرج بممثلين يهود للقيام بأدوار الإرهابيين العرب، في حين أوكل الأدوار الثانوية للكومبارس العرب الذين أخفيت أسماؤهم.

الأمر نفسه يتكرر في فيلم (**الأحد الأسود**/ The Black Sunday) الذي أنتج عام ١٩٧٦، حيث تحاول عصابة فلسطينية تفجير منطاد مليء بالذخيرة وسط ملعب يغص بالجماهير في أثناء المباراة النهائية لبطولة كرة القدم الأمريكية، ونرى في الفيلم امرأة فلسطينية وهي تقتل كل من يقف في وجهها بدم بارد، وقد أسندت أدوار العرب الإرهابيين أيضاً إلى

ممثلين أمريكيين ويهود باستثناء الدور الثانوي لـ (محمد) الإرهابي والذي أداه الممثل (Bekim Fehmiu) المولود في البوسنة.

وفي عقد السبعينيات، أسس المنتجان اليهوديان (مناحيم غولان) و(يورام غلوباس) شركة (كانون) لإنتاج الأفلام في هوليود، والتي خصصت معظم نشاطها لتحقير المسلمين ووصفهم بالإرهاب، حيث أنتجت على مدى عشرين عاماً أكثر من ثلاثين فيلماً لهذا الهدف، مستخدمة شتى الوسائل الرخيصة والبذيئة لتحقيق مصالح إسرائيل، واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن أفلست الشركة في أواخر التسعينيات بعد إخفاقها في ترويج المزيد من الكراهية، وكان من أشهر أفلامها فيلم (The Delta Force) الذي أنتج عام **١٩٨٦** ويحكي قصة طائرة تتوجه من أثينا إلى روما وتختطفها عصابة من الركاب الفلسطينيين الذين يجبرون الطيار على الهبوط في بيروت، ونرى في الفيلم مجدداً عنصرية الفلسطينيين تجاه **اليهود الأبرياء** مع إسناد أدوار العرب للممثلين اليهود، فحتى ذلك الوقت كان من الصعب العثور على ممثلين عرب يؤدون أدواراً رئيسية أو ثانوية في الأفلام التي تحقرهم، فالتحقير يجب أن يمتد إلى الممثلين العرب أنفسهم الذين لا يُسمح لهم بالقيام بأدوار أكثر أهمية من مجرد ملء الشاشة بالجيوش البدائية (المليشيات) أو أفراد العصابات الذين لا يكادون ينطقون ببعض الكلمات العربية، ولم يكن المنتجون في تلك المرحلة مستعدين للدخول في أي مغامرة مع ممثل عربي قد يسعى إلى تغيير مجرى الفيلم في حال موافقته على المشاركة فيه.

ولكن هذه السياسة تغيرت تدريجياً مع مطلع التسعينيات، حيث أصبح من الممكن متابعة أفلام تكرس صورة الإرهابي المسلم وبتوقيع ممثلين عرب ومسلمين أيضاً!.. ففي فيلم (Navy Seals) الذي أنتج في عام

١٩٩٤، يكتشف (شارلي شين) و(مايكل بين) عصابة من الإرهابيين العرب في لبنان ويسارعون إلى إبادتهم قبل أن يدمروا الغرب بالأسلحة الحديثة التي استولوا عليها، ونرى في الفيلم إرهابياً يدعى (بن شهيد) ويؤدي دوره الممثل (**نمير القاضي**) الذي وُلد عام **١٩٥٢** في إستنبول قبل أن ينتقل إلى هوليود ويغير اسمه إلى (نيكولاس كادي).

أما القفزة النوعية في أدوار الممثلين المسلمين فأعتقد أنها بدأت مع فيلم (**أكاذيب حقيقية**/ True Lies) الذي أنتج في عام **١٩٩٤**، حيث يؤدي فيه الممثل الباكستاني- البريطاني (**آرت مالك**) دور الإرهابي (سالم أبو عزيز)، والذي يشكل عصابة إرهابية لتفجير قنابل نووية في مدن مختلفة في الولايات المتحدة، وبمشاركة ممثلين عرب آخرين مثل **ماجد إبراهيم ولؤي ماريني**. وقد نجح (مالك) في إظهار أشد الوجوه قبحاً للإرهابي المسلم، إذ لم يكن مجرد ممثل جانبي (كومبارس) يظهر في بعض المشاهد غير الناطقة، بل نجده يدير حوارات مطولة مشحونة بالغضب والتهور، ويكافح بضراوة لنشر «لون الجهاد القرمزي» على أنحاء أمريكا كافة.(١)

ومن الجدير بالذكر أن (آرت مالك) وُلد في الباكستان عام **١٩٦٢** وانتقل مع عائلته إلى لندن وهو في سن الرابعة، ثم عمل ممثلاً في مسارح بريطانيا قبل أن ينتقل إلى الولايات المتحدة، ليمثل أول أدواره السينمائية في دور شاب هندي في فيلم (City of Joy) عام **١٩٩٢**، ثم جاء ظهوره الثاني في دور قائد الخلية الإرهابية في فيلم (**أكاذيب حقيقية**) عام **١٩٩٤** وهو الفيلم الذي حل في المرتبة الثالثة ذاك العام من جهة تحقيق أعلى الإيرادات وحظي بشهرة واسعة جداً. كما أدى هذا الممثل دوراً مسيئاً آخر عندما مثل دور (رمزي أحمد يوسف) في الفيلم التلفزيوني (**الطريق إلى**

(١) ومن العجيب أن قناة فوكس (FOX) العربية عرضت الفلم.

الجنة) عام **١٩٩٧**، ثم أدى دور البطولة في العمل التلفزيوني البريطاني (The English Harem) عام **٢٠٠٥**، الذي طرح مشكلة تعدد الزوجات عند المهاجرين المسلمين من وجهة نظر غربية، ويعيش (آرت مالك) في بريطانيا حياته الخاصة على الطريقة الغربية مع زوجته (جينا رو) التي كانت زميلته في الدراسة، وابنتيه (جيسكا) و(كييرا).

قد يصح القول بأن هذه الأدوار أتاحت للممثلين العرب والمسلمين فرصة للشهرة، فبعد أن أخفق العديد منهم في إيجاد موطئ قدم لهم في هوليود قبلوا بهذه الأدوار، كما في قصة الممثل المصري (**سيد بدرية**) الوارد ذكرها في الفصل السابق، وهو أمر تكرر أيضاً مع الممثل اللبناني الأصل (**توني شلهوب**) والمولود في أمريكا، حيث كان أول ظهور له عام **١٩٨٦** في مسلسل (Equalizer) عندما قام بدور الإرهابي العربي في إحدى الحلقات، وقد برر شلهوب قبوله بالدور قائلاً: «أديت هذا الدور مرة.. وهي تكفي»[1]. والسؤال هنا: هل هناك ما يبرر حقاً لأي ممثل أن يؤدي دوراً يهين فيه شعباً من ملايين البشر ويساعد على تكريس الصور النمطية التي تسيء إليهم؟ وإذا كان شلهوب لم يقم حقاً بدور الإرهابي مرة أخرى، فلماذا قبل بالظهور في أفلام تسيء إلى المسلمين وتكرس هذه الصور كما هو الحال في فيلم (الحصار)؟

وأياً كان الجواب، فمن الجدير بالذكر أن فيلم (الحصار) أُنتج بتوقيع الكثير من الممثلين العرب، فإلى جانب (توني شلهوب) نقرأ أسماءً عربيةً أخرى مثل: **سامي بو عجيلة، أحمد بن العربي، مصلح محمد، آصف مندفي، سعيد فرج، حلمي قاسم، هاني كمال، وعمرو سلامة!**

---

(١) أشرف خليل، الشرق الأوسط، العدد ١٠٥٣٨، ٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٧.

الحادي عشر من أيلول/سبتمبر.. والحملة الجديدة

بعد أن مهدت بعض أفلام هوليود لصورة الإرهاب القادم من الشرق الإسلامي، وقعت بالفعل أحداث مماثلة لما تخيله الهوليوديون على مدى ثلاثين سنة تقريباً، حيث رأى العالم أجمع وعلى الهواء مباشرة طائرة (بوينغ) وهي تضرب برج التجارة العالمي في نيويورك عام **٢٠٠١**، وجاء هذا المشهد الواقعي بعد أن تشبّع المشاهدون في العالم كله بصورة الإرهاب الإسلامي الذي يخطط لتدمير أمريكا في عقر دارها، فقد كانت أفلام مثل (**أكاذيب حقيقية**) و(**الحصار**) و(**الأحد الأسود**) تُعرض كل أسبوع تقريباً على بعض القنوات الأمريكية، وكأنها تقدم درساً مكرراً يجب تلقينه لكل المواطنين تمهيداً لشيء ما سيحدث، ولتتم إدانة المسلمين منذ الساعة الأولى لوقوع هجمات أيلول/ سبتمبر، وقبل ظهور أي أدلة تذكر على إدانتهم، وهي الأدلة التي لم تكتمل حتى الآن.

ومن الغريب حقاً أن تتشابه بعض الأحداث الواقعية مع أحداث تلك الأفلام[(١)]، ففكرة اصطدام الطائرة بالبرج قد سبق تمثيل مشهد مشابه لها في فيلم (**الأحد الأسود**) مع محاولة اصطدام المنطاد بأرض الملعب المليء بالجماهير، أما وقائع التمييز المشين الذي تعرض له المسلمون بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر فقد سبق التمهيد له في فيلم (**الحصار**/ The Siege) الذي أنتجته شركة (20 th Century Fox) قبل ثلاث سنوات فقط، ويؤدي أدوار البطولة فيه نجوم كبار مثل (دنزل واشنطن) و(بروس ويليس)، حيث تقوم خلية إسلامية بسلسلة من التفجيرات في شوارع مدينة نيويورك انتقاماً لاستهداف قائد تنظيمها من قبل الولايات

(١) د. إبراهيم علوش: عندما يقلد الحدث السياسي الحدث السينمائي، مجلة نور حواء الإلكترونية.

المتحدة، مما يدفع الجيش الأمريكي إلى إعلان حالة الطوارئ في نيويورك، ويتم اعتقال آلاف العرب والمسلمين الأمريكيين في معسكرات اعتقال من دون توجيه أي اتهام، ويظهر (**توني شلهوب**) عميلاً فدرالياً مسلماً يعاني صراع التوفيق بين الولاء لقيادته وحقيقة اعتقال عائلته وأصدقائه، وقد بررت هذه المشاهد للمواطن الأمريكي كل ما حدث بعد ذلك على أرض الواقع ابتداء من أيلول/ سبتمبر **٢٠٠١** وحتى اليوم.

أما على صعيد الإنتاج، فقد وجد منتجو هوليود في هذه المرحلة الجديدة من الصراع مع الإسلام عشرات القصص الناجحة لتحويلها إلى أفلام تدر عليهم الأرباح وتحقق مصالح واشنطن في الوقت نفسه، والأمر هنا لا يقتصر على قضية الإرهاب في الداخل الأمريكي، إذ أفرزت أحداث أيلول/ سبتمبر أحداثاً تاريخية كبرى بدءاً من الحرب على طالبان وانتهاء بورطة احتلال العراق، ولما كانت العادة قد جرت في هوليود على تأريخ جميع الحروب الأمريكية ونقلها إلى الشاشة الكبيرة، سواء لتوجيه الرأي العام أم لإرسال رسالة ما إلى صناع القرار أم للبحث في تبعات هذه الحروب وآثارها السياسية والاجتماعية، فقد أصبح (الشرق الأوسط) في بؤرة اهتمام هوليود، وارتفعت أسهم الممثلين العرب الباحثين عن الشهرة والمال، ونشطت حركة التصوير في عدد من الدول العربية والإسلامية، حتى تجاوز إجمالي عدد الأفلام الأمريكية التي تناولت الحرب على العراق حتى منتصف عام **٢٠١٠** مئتي فيلم بما فيها الأفلام القصيرة والطويلة والوثائقية، منها نحو ثلاثين فيلماً روائياً طويلاً[١].

يقول الممثل الفلسطيني **بشار القدومي** في لقاء صحفي: «بعد أحداث

---

(١) إيهاب التركي: **٣٠** فيلماً أمريكياً عن (الوحل) الأمريكي في العراق، الدستور، ١٦/ ٤/ ٢٠١٠.

١١ سبتمبر، والتي حدثت بعد ٨ شهور من وجودي في أمريكا، كنت غداتها أدرس ولا أذهب لمقابلات للعمل في الأفلام، بعد الأحداث زاد الطلب على العرب، فغالبية الأفلام كان لها طابع يخص الشرق الأوسط؛ إما بشكل سلبي أو إيجابي، وظهرت أفلام مثل: (**سيريانا**)، ومسلسلات مثل: (**الخلية النائمة**)، و(**خلية هامبورج**). بالمجمل زاد الطلب على الممثلين العرب لكن بطابع سلبي لإرضاء وزارة الخارجية الأمريكية، كل مخرج أمريكي كان يريد أن يثبت أنه وطني أمريكي بغض النظر عن الإساءة للعرب المسلمين، والأدوار تلخصت إما في جنود عراقيين منظور لهم بنظرة دونية، أو أن يظهر الرجل الأبيض قائداً وبقية الممثلين، بغض النظر عن الألوان، يدورون في فلكه ولا معنى لهم»(١).

وبهذه الكلمات يرسم لنا القدومي صورة الوضع القائم في عاصمة السينما العالمية في عالم ما بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، والتي يؤكدها الممثل الفلسطيني **هاني النعيمة**، الذي وصل إلى هوليود قبل خمسة وعشرين عاماً، ولكنه لم يحظ إلا بأدوار ثانوية مثل نادل في مقهى أو سائق ليموزين إلى أن حالفه الحظ بعد هجمات أيلول وأصبح وجهاً مألوفاً في هوليود(٢). ومع أن هاني أكد رفضه أربعة أدوار مسيئة للعرب فقد قبِل المشاركة في أفلام ومسلسلات ملأى بالصور النمطية، ومنها مسلسل (**الخلية النائمة**)، وفيلم (**خزانة الألم**).

ومن الطريف أن تغيير اسم هاني إلى (مايكل ديسينت) لم يُخرجه من دائرة الأدوار النمطية للممثلين العرب على وسامته، ونسترجع هنا اعتراف الممثل المخضرم سوري الأصل (**ف. موراي أبراهام**) في لقاء صحفي بأنه

---

(١) سعيد أبو معلا: بطل فيلم (القيادة إلى زغزغلاند).. بشار القدومي: هوليود تسعى لإرضاء الإدارة الأمريكية، إسلام أون لاين، ٢٠/١/٢٠٠٨.

(٢) وردت تصريحات هاني في برنامج (محطات)، قناة العربية، ٢٨/٥/٢٠١٠.

أسقط اسمه الأول (فريد) مكتفياً بحرفه الأول كي لا يقع في فخ التنميط «كعربي بغيض يخرج لقتل الجميع»(١)، وإذا كانت هذه القصة تعود إلى عقود طويلة فكيف يعاني إذن الممثلون المسلمون الجدد في الوقت الحاضر(٢)؟

يقول الممثل ذو الأصل اللبناني (**توني شلهوب**) في لقاء صحفي لوسيلة إعلامية غربية: «عندما تبدأ برفض دور الإرهابي، فإن مديري الإنتاج في هوليود سيكفون عن الاتصال بك»(٣)، ويضيف الممثل وكاتب السيناريو الأمريكي المسلم -من أصل إفريقي- (**جي. دي. هول/ J.D. Hall**) في لقاء مع صحيفة (نيويورك تايمز): «لا أريد أن أعمم الحكم على كل اليهود، ولكن هناك حقاً عنصر صهيوني معادٍ للإسلام، وبالقدر الذي يمكنك أن تتجانس فيه مع هذا العنصر، إذا كان بإمكانك أن تمثل المسلمين، فإن الصورة التي تقدمها عنهم لن تجد القبول»(٤).

وقد بلغ هذا الأمر درجة مقاضاة الإيراني (**آلان مارني**)، واسمه الأصلي فتح الله، وكالةَ التوظيف التي يعمل لحسابها؛ لأنها تعرض عليه أدواراً نمطية مثل (بائع الكباب)، (الأجنبي المخادع)، (الإرهابي)، (المغتصب) و(الشاذ جنسياً)، وذلك فقط بسبب ملامحه العربية.

(١) انظر: أحمد رأفت بهجت: الشخصية العربية في السينما العالمية، ص ٣٠٥، وأيضاً: http://www.100megspop2.com/presca/lauriegoodstein.htm

(٢) هذه المواقف تذكرنا في الجهة المقابلة باستياء المفكر الأمريكي الفلسطيني (إدوارد سعيد) من اختيار والديه لهذا الاسم الإنجليزي، فيقول في مذكراته: «هكذا كان يلزمني قرابة خمسين سنة لكي أعتاد على (إدوارد) وأخفف من الحرج الذي يسببه لي هذا الاسم الإنجليزي الأخرق الذي وضع كالنير على عاتق (سعيد) اسم العائلة العربي القح».

(٣) المرجع السابق.

(4) http://www.ethicsdaily.com/article_detail.cfm?AID=%20562

وكان (فتح الله) قد اتهم في لقاء مع صحيفة (إيفننغ ستاندرد) البريطانية هذه الوكالة بأنها أضاعت عليه فرصة النجومية حيث كان هو أول من تقدم بطلب ليقوم بالدور الأساسي في فيلم (عازف البيانو) عام **٢٠٠٢**، ولكنه فوجئ أثناء تدربه على الدور بأنه قد تم تجاهله ليقع الاختيار على الممثل (أدريان برودي) بدلاً منه، والذي فاز لاحقاً بجائزة أوسكار.

والأسوأ من ذلك هو الرد الذي تلقاه (فتح الله) على طلب آخر تقدم به لتمثيل دور (ماكبث) للكاتب المعروف (شكسبير)، عندما ضحك عليه المنسق في الوكالة قائلاً: «أنت لا تصلح إلا لدور بائع كباب أو إرهابي»![(١)]

بيد أن الكثير من الممثلين العرب والمسلمين لا يجرؤون على اتخاذ موقف (فتح الله) السابق، بل يقبلون بالأدوار المسيئة إلى دينهم وبني جلدتهم، وهذا ما يؤكده تصريح الممثل بشار القدومي: «لقد ذهبت للعديد من المقابلات للعمل في هوليود، الإجابة الوحيدة التي كنت أتلقاها عند اعتراضي على الدور أن "هناك ألفاً غيرك يلائمهم الدور الذي لا يعجبك"، وعندما أخرج أخبر الموجودين عن الإساءة التي يحملها الفيلم، في أحسن الحالات عندما يذهب الجميع ولا يبقى متقدمون للدور فيستخدمون يهودياً لتقديم الشخصية العربية في السينما»[(٢)].

لذا يوفر بعض العرب العناء على المخرج ويقبلون بهذه الأدوار، حتى ارتبطت بعض الوجوه لدى المُشاهد بالإرهاب لكثرة تجسيدها لتلك الصور النمطية، مثل الممثل لبناني الأصل **سعيد فرج** الذي جرّب نحو عشرين مهنة خلال سنتين فقط قبل أن يحقق حلمه في هوليود، مبتدئاً

(١) الشرق الأوسط، العدد **٩١٦٧**، **٣** كانون الثاني/يناير **٢٠٠٤**.
(٢) إسلام أون لاين، مرجع سابق.

مسيرته في الأدوار الناطقة منذ بداية الثمانينيات وليصبح من أكثر الممثلين العرب تمثيلاً للإرهابيين كما في مسلسلي (٢٤) و(JAG)، وأفلام مثل (The Onion Movie) (The Unit)، (The Siege)، وغيرها.

لا عجب إذن في ابتهاج البعض بالتحولات التي طرأت في هوليود، وأن يصرح الممثل المغربي **إسماعيل قناطر** بأن «هناك مزيد من الأعمال للممثلين العرب، أكثر مما كان عليه الوضع قبل عشر سنوات، فهناك اهتمام بالمنطقة، وسيفتح ذلك الأبواب»، وقد استغل (قناطر) انفتاح هذه الأبواب جيداً وقبل بدور مسيء في مسلسل (**الخلية النائمة**/ Sleeper Cell) الذي يُظهر الأمريكيين المسلمين على أنهم عملاء محليون للإرهاب العالمي، ويعترف (قناطر) بأنه لا يعترض على تأدية مثل هذه الأدوار، فالشيء الوحيد الذي يزعجه هو أن يكون الدور ضعيفاً وسطحياً[(١)]، وكأن المشكلة هي في سطحية الدور وليس في الصورة النمطية التي يسعى إلى تكريسها في عقول وقلوب ملايين المشاهدين عن الإرهاب وعلاقته بالإسلام والمسلمين!

الأمر نفسه يتكرر مع الممثلة الشابة من أصل عراقي آشوري (**ياسمين حناني**) التي سبق لها تمثيل العراق في مسابقة ملكة جمال آسيا، إذ شاركت مع إسماعيل قناطر في المسلسل نفسه مبررة الأمر بقولها: «الأمر المتعلق بتمثيل دور الإرهابيين هو وجودهم في الواقع»، وهو المبرر ذاته الذي سمح للممثل المصري **سيد بدرية** بأداء دور الإرهابي لعشرين سنة، إذ يقول: «لم أمثل دوراً لم يحدث في الحقيقة، أن نخطف الطائرات، وأديت دور خاطف، أقوم بعملي»[(٢)]، وقد يكون هؤلاء على حق عندما

(١) أشرف خليل، الشرق الأوسط، العدد ١٠٥٣٨، ٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٧.
(٢) المرجع السابق.

يقتصر فهمهم للواقع على هذا الجانب المعتم دون غيره، وخصوصاً عندما تغيب عن أذهانهم حقيقة أنهم يمثلون هذه الأدوار في هوليود الأمريكية، وليس في دمشق والقاهرة، وأنهم يقدمونها للمشاهد الغربي الذي لا يعرف عن الإسلام إلا ما يتفضلون بعرضه على الشاشة، كما أن تكرار ظهور **الإرهابيين المسلمين** على الشاشة طبقاً للصورة التي يريدها منتجو هوليود ودون إظهار أي صورة أخرى عن المسلم الطبيعي والطيب هو تحكم مغرض في الواقع الذي يريدون تمثيله[1]، فضلاً عن أن تنميط صورة (الإرهابي المسلم) على نحو يتماهى فيه الإرهابي مع أي مسلم عادي يمارس واجباته الدينية سيؤدي عادة إلى الربط بين كل مظاهر الإسلام من صلاة وحجاب ولحية وعفة وبين العنف والإجرام.

إضافة إلى ما سبق؛ تتنوع المبررات لدى ممثلين آخرين يطمحون إلى عالمية هوليود، فقد دافع الممثل الأمريكي من أصل مصري **(عمر متولي)** عن نفسه في مهرجان القاهرة السينمائي عام **٢٠٠٧** عندما أعرب للجمهور عن سعادته «بتقديم تلك الشخصيات، خاصة أن صورة العربي في أفلام هوليود قد بدأت تتحسن ولطالما كانت سيئة»[2]، وصرّح قائلاً:

---

(١) بهذا المنطق نفسه يمكن تبرير كثافة الإنتاج السينمائي في هوليود وغيرها لأعمال تدور حول (الهولوكوست)، حيث تُجسد مأساة اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد وخطر الإبادة الجماعية على يد النازيين في ألمانيا، ولكن الغاية من هذا الكمّ الهائل من الأفلام والمسلسلات هي ضمان استمرارية الشعور بالذنب في الضمير الغربي جيلاً بعد جيل لتبرير أي جريمة يرتكبها الصهاينة في حق الفلسطينيين فيما بعد. لذا فإن التعاطف مع آلام اليهود في هذه المأساة لا يبرر التساهل مع هذا الإصرار المغرض على التذكير بها ما دامت تُتخذ وسيلة لتبرير جرائم أخرى ستؤدي إلى آلام أكبر لدى شعوب لا ذنب لها! كما أن التعاطف مع آلام ضحايا الإرهاب لا يبرر التساهل مع تكرار تنميط صورة المسلمين كمجتمع إرهابي لتبرير احتلال العراق وفلسطين وغيرهما!

(٢) صحيفة المصري اليوم، عدد ١٢٦٦، ١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٧.

«المنتجون يحاولون حصري في أدوار الشخص العربي.. مما دفعني للقلق لأنه لا يوجد أحد يحب أداء دور واحد في التمثيل.. ولكنني سأسعى للبحث عن أدوار مختلفة.. فلا مانع لدي في أداء أدوار أخرى»(١)، وقد يُفهم من هذا التصريح بأن المشكلة لدى (متولي) ليست في تكريس الصور النمطية التي تؤذي شعوباً كاملة من العرب والمسلمين، بل في خوفه الشخصي من الوقوع أسيراً للأدوار النمطية!

ومن الجدير ذكره أن هذا الممثل المولود في أمريكا من أب مصري وأم هولندية قد بدأ مسيرته الفنية مع مسرحية لكاتب إسرائيلي تحمل اسم (**١٦ جريحاً**)، وتتناول أحداث «الإبادة الجماعية» التي شهدتها أرمينيا على يد العثمانيين، ثم عمل لمدة سبع سنوات في مسارح (برودوي) في نيويورك، إلى أن أتيحت له الفرصة في هوليود عندما عُرض عليه دور الفدائي الفلسطيني (علي) في فيلم (**ميونخ**)، حيث يُجري (علي) في أحد المشاهد حواراً سريعاً مع أحد عملاء الموساد في أثناء تدخينهما للسجائر موضحاً وجهة نظر منظمة (أيلول الأسود) الفلسطينية التي اختطفت الرياضيين الصهاينة في أولمبياد ميونخ، ولكن السماح بظهور وجهة النظر هذه في فيلم هوليودي، وهو ما لم يكن ممكناً قبل نحو عشرين عاماً، قد لا يكون أكثر من ذر للرماد في العيون، فالقصة الحقيقية التي أراد المخرج اليهودي (ستيفن سبيلبرغ) إظهارها قد شُوهت على نحو مفضوح، علماً بأن (سبيلبرغ) لم يفلح في إرضاء الصهاينة عندما برر في أكثر من مناسبة أنه لم ينوِ في فيلمه هذا إدانتهم، بل كان يسعى إلى إعادة النظر في سياسة الاغتيال مع (العدو)، وقد بذل حقاً الكثير من الجهد لإظهار الصهاينة في غاية الإنسانية والأخلاق حتى عندما يمارسون القتل.

موقف مشابه تكرر أيضاً مع (عمر متولي) الذي لم يفلح في إرضاء

---

(١) الجمهورية المصرية، ٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٧.

الصحفيين والنقاد في مهرجان القاهرة عندما اعترف بأنه لم يبدِ أي اعتراض على دوره في الفيلم المنحاز للصهاينة بعد أن وقع العقد، حيث كان قد اكتفى قبل التوقيع بقراءة دوره فقط دون الاطلاع على السيناريو الكامل للفيلم(١).

بالرغم من هذه المواقف غير المبررة، فالإنصاف يستدعي التوقف عند دور البطولة الذي قام به هذا الممثل الشاب في فيلم (**التسليم**/ Rendition) عام **٢٠٠٧**، حيث ظهر في شخصية المهندس الكيميائي مصري المولد أمريكي النشأة (أنور الإبراهيمي) والذي تشتبه المخابرات الأمريكية في علاقته بعناصر إرهابية، فيتم القبض عليه وترحيله بطائرة مخصصة لنقل أمثاله إلى بلد عربي، لم يذكر اسمه ويقع في شمال إفريقيا، بهدف تعذيبه من قبل السلطات هناك.

تفاوتت آراء النقاد العرب حول هذا الفيلم، فهو يدين للوهلة الأولى هذه الإجراءات القذرة للمخابرات الأمريكية التي تحاول التملص من وسائل الإعلام المحلية ومنظمات حقوق الإنسان عبر نقل المشتبهين للتحقيق معهم إلى دول ديكتاتورية وانتزاع المعلومات منهم بشتى الوسائل، وهو ما نسمعه صراحة في الفيلم على لسان مسؤولة المخابرات؛ النجمة ميريل ستريب، التي تعترف بأن أمريكا لا تعذب أحداً، ولكنها تهتم فقط بالمعلومات.. أما طريقة استخراج هذه المعلومات والتي تتم خارج أراضيها وبأيد غير أمريكية فهي أمر لا يعنيها.

إلا أن نقاداً آخرين لم يخفوا استياءهم من الصور النمطية التي لم يخل منها هذا الفيلم، فهو لا يبدو متعاطفاً مع المسلمين أو مؤيداً لحق مهضوم من حقوقهم أو حتى ساعياً لإظهارهم على ما هم عليه في الواقع، فثمة

---

(١) المرجع السابق.

علاقة جنسية سرية بين عنصر المخابرات الأمريكي الذي يتولى عملية التحقيق (دوجلاس)؛ الممثل جاك جالينهال، وبين الفتاة العربية التي تعاونه في المكتب، فضلاً عن التركيز على السلطة الذكورية العربية من خلال قصة الضابط الأمني العربي الرافض لحرية ابنته في اختيار زوجها[1]، كما أعتقد أن انتصار الفيلم لحقّ المهندس المسلم وبراءته قد جاء على حساب إدانة شعبه كله، فهذا الشاب المتحضر المتزوج من أمريكية، النجمة ريس ويذرسبون، والبريء من تهم الإرهاب لا ينتمي إلى ذلك الشعب العربي بقدر انتمائه إلى أمريكا التي أخطأت في اتهامه، وكأن الإدانة لا تتعدى ذلك الفعل الخاطئ لدولة متحضرة في مقابل عالم متخلف آخر لا يستحق حتى التفكير في تبرئته لتخبطه في بحر هائل من الأخطاء المستعصية. علماً بأن الممثل عمر متولي لم يحظ بدور البطولة مع أنه قام بدور الشخصية المركزية التي تدور حولها القصة، كما لم يظهر اسمه أيضاً على (بوستر) الفيلم، وكأنه مجرد (كومبارس)!.. ولم تمنع هذه الملاحظات دور العرض العربية من عرض الفيلم والاحتفاء به لشعورها بانتصاره للعرب، فضلاً عن عرضه خارج المسابقة في مهرجان القاهرة السينمائي عام ٢٠٠٧.

أما التعليق الأمثل على ما يقوم به هؤلاء الممثلون العرب في هوليود، فنقتبسه من كلمات للممثل الفلسطيني **بشار القدومي** يقول فيها: «تمثيل مثل هذه الأدوار فضيحة.. كيف سيواجه الممثل أهله وأصدقاءه وضميره بعد عرض العمل؟»[2]. وسنترك لهم حق الرد! مع التذكير بأن المشاركة في هذه الأعمال لم تعد تقتصر على بعض الممثلين من العرب والمسلمين، فقد أصبح من المعتاد نقل عمليات التصوير بكاملها إلى دول

(١) رامي عبد الرازق، المصري اليوم، ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٨.
(٢) إسلام أون لاين، مرجع سابق.

عربية وإسلامية، وتوظيف عشرات الفنيين المحليين في فرق الإنتاج دون معارضة تذكر، ومن الأمثلة البارزة على ذلك فيلم (**خزانة الألم**) الحائز على ست جوائز أوسكار عام **٢٠١٠**، وسنخصص لهذه القضية فصلاً لاحقاً في الكتاب.

جيل واعد يسعى إلى كسر الحلقة المغلقة

على تساهل بعض الممثلين العرب فيما يسند إليهم من أدوار أمام بريق النجومية وإغراء الثروة، فإن بعضاً آخر من الممثلين والمخرجين والكتاب العرب قد سعوا إلى كسر تلك الحلقة المفرغة للصور النمطية للإرهابي المسلم، حتى أولئك الذين سبق لهم العمل في أفلام تكرس الصور النمطية المسيئة في الماضي!

ففي عام **٢٠٠٦** كتب المصري (**سيد بدرية**) -الذي كان له الكثير من الأدوار النمطية سابقاً- فيلماً يحمل اسم (American East) وقام بدرية بدور البطولة فيه إلى جانب (**توني شلهوب**) و(**سارة شاهي**)، وعدد من الممثلين العرب مثل **أنطوني عزيز**، **فوزي إبراهيمي**، **وقيس ناشف**، وأخرج الفيلم المخرج المصري **هشام عيساوي**، وكان من بين منتجيه المنتج السوري الأصل **أحمد زهرة**. ويحاول الفيلم معالجة قضايا العرب الأمريكيين من خلال عدة محاور قد تبدو غير مترابطة، ولكن أهمها في هذا السياق هو محاولة الممثل العربي الشاب (**قيس ناشف**) البحث عن دور له في هوليود دون السقوط في الحلقة المفرغة للصورة النمطية للإرهابي المسلم.

أما الممثل الكردي الأصل (**حليم مصطفى جبوري**) فكانت له تجربة أخرى، فبعد انتقاله إلى أمريكا في أواخر السبعينيات لدراسة الإخراج السينمائي، بدأ مشواره في حقل التمثيل مع تمثيله لدور مواطن عراقي

طيب في الفيلم الأمريكي (**ثلاثة ملوك**) الذي يعُدّه (جاك شاهين) فيلماً منصفاً، ثم توالت أدواره الصغيرة التي لم تخرج عن إطار شخصية المواطن العربي، إلا أنه شعر بالندم بعد مشاركته في فيلم (**أسوأ من بيروس**) عندما وقع في أسر الحلقة المفرغة مؤدياً دور العربي الشرير، مما دفعه إلى تأسيس شركة إنتاج صغيرة أسماها (سيميتار)، مبتدئاً مشواره في إنتاج الأفلام مع فيلم (**مسلم**/ Moslym)، الذي أخرجه المخرج الأفغاني الأصل (**إدريس بورمول**)، وتدور القصة حول شاب أمريكي أسود يقوم بتحضير رسالة للماجستير حول رؤية هوليود للعلاقة بين المسلمين، وصرح المنتج جبوري بأنه سعى لإظهار المسلمين في فيلمه على أنهم بشر قابلون للخطأ وليسوا أنبياء، وأنهم أصحاء نفسياً وليسوا متخلفين ووقحين[(١)].

محاولة أخرى مهمة قدمها الممثل الفلسطيني **بشار القدومي** مع زوجته (**نيكول باليفيان**) في فيلمهما (**القيادة إلى زغزغلاند**)، وجاءت فكرة الفيلم بعد انتقال بشار إلى هوليود قبل وقوع أحداث أيلول/ سبتمبر ببضعة أشهر لدراسة التمثيل المسرحي، ثم عدم تمكنه من العودة إلى بلاده بسبب الانتفاضة، ليتزوج من المخرجة الأمريكية المسلمة من أصل بوليفي (**نيكول**)، ويبدآ معاً التخطيط لهذا العمل.

كان الهدف هو صناعة فيلم أمريكي من داخل هوليود حول الصراع العربي مع الصهاينة، وبمساعدة المنتج السوري (**مؤنس خلف**) تمكن الزوجان من صناعة فيلمهما بميزانية متواضعة، مستعينين بستة وأربعين ممثلاً تبرعوا للتمثيل دون أجر، وتم التصوير بين لوس أنجلوس والقدس

(١) مروة عبد الفضيل: فيلم أمريكي يواجه هوليود.. ويبرئ المسلمين من الإرهاب، موقع إم بي سي، ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٨.

ورام الله وعدد من المناطق الفلسطينية، وتدور أحداث الفيلم الكوميدي حول قصص حقيقية جرت مع الممثل القدومي أثناء عمله سائقَ سيارة أجرة في هوليود لتوفير مصاريف دراسته ومعيشته، حيث كانت زوجته تقوم بتسجيل تلك القصص تمهيداً لتحويلها إلى أحداث هذا الفيلم.

وتبدأ القصة مع تساؤل الزبائن عن جنسية بشار، ووقوعه في بعض المشكلات عندما يخبرهم عن قدومه من فلسطين خصوصاً بعد أحداث أيلول/ سبتمبر، مما اضطره أحياناً إلى نسبة نفسه إلى دولة اخترع لها اسماً وهو (زغزغلاند)، ولأن الأمريكيين هم من أكثر الشعوب جهلاً بالجغرافيا كانوا يصدقونه عندما يخبرهم بأنها دولة تقع بين الصين وإسبانيا!.. أما بشار فكان ينظر إلى هذه الدولة الخيالية على أنها المكان المثالي بعيد المنال، الذي يحلم به أهله في القدس ويقول: «هي ليست شيئاً محدداً تماماً، لكنها مع ذلك ليست لا شيء، هي شيء من أحلامنا ورغباتنا وأمانينا»[١] وتضمن الفيلم مواقف هزلية حاول فيها نقد العنصرية لدى اليهود الأمريكيين التي تتجاوز عنصرية الإسرائيليين أنفسهم، كما انتقد العربَ أيضاً عندما يقعون في فخ الهجرة والصراع بين البقاء في الغرب وحنين العودة إلى الوطن، ويُحسب له النجاح في كسر حلقة الصور النمطية المغلقة على تواضع الإمكانيات.

الشابات المسلمات لم يقفن أيضاً مكتوفات الأيدي، بل نجح بعضهن في منافسة الرجال على القيام بدورهن مع أن عبء العوائق مضاعف على عاتقهن، ونبدأ مثالنا الأول من هوليود مع الشابة الهندية المسلمة **لينا خان**، التي لم يمنعها حجابها والتزامها من شق طريقها في هوليود بكل ثقة، فدرست الإخراج السينمائي أكاديمياً، وكتبت وأخرجت العديد من

---

(١) سعيد أبو معلا: بطل فيلم (القيادة إلى زغزغلاند).. بشار القدومي: هوليود تسعى لإرضاء الإدارة الأمريكية، إسلام أون لاين، ٢٠/ ١/ ٢٠٠٨.

الأفلام القصيرة والفيديوكليب، وهي تسعى في بعض أعمالها إلى كسر الصور النمطية للمسلمين في أمريكا وتقديمهم في صورة مواطنين طبيعيين ومهتمين بالاندماج.

حقق فيلمان قصيران من أعمال (خان) جوائز في عدة مهرجانات، وهما فيلم **(باسم يحاول)**، و**(أرض تدعى الجنة)**، حيث يظهر في الفيلم الأخير عشرات من الرجال والنساء المسلمين الأمريكيين، وهم يحملون لافتات تتضمن رسائل متعددة تؤكد كونهم أعضاء مندمجين في المجتمع مثل: «أختي توفيت أيضاً في ١١ سبتمبر»، وحظي الفيلم باهتمام كبير من منظمات مهتمة بحقوق المسلمين في أمريكا، كما قدم لمخرجته فرصاً أكبر للدعم والنجاح والذي نأمل أن نرى ثماره قريباً[١].

وفي كندا ثمة قصة نجاح أخرى حظيت بالكثير من الاهتمام، وبطلتها هي أيضاً شابة محجبة وملتزمة تحمل اسم **(زرقاء نواز)** وتصف نفسها بأنها «مسلمة محافظة تغطي رأسها وتؤدي الصلوات الخمس وتشارك في نشاطات المسجد المحلي»[٢].

بدأت نواز -الكندية من أصول باكستانية- مسيرتها الفنية بالعمل كاتبة ومنتجة في هيئة الإذاعة الكندية (CBC) عام ١٩٩٥، وعندما سارع الإعلام الغربي إلى اتهام المسلمين بتفجيرات أوكلاهوما، قبل أن تثبت التهمة بحق شاب أمريكي غير مسلم، بادرت بإخراج فيلم قصير يحمل

---

(١) انظر:
(لينا خان) سينمائية أمريكية تدافع عن نمطية المسلمين، الفن أون لاين، ٢١/٨/٢٠٠٨.
مسلمون شباب يتركون بصمتهم، www.america.gov، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٩.

(٢) كندية من أصل باكستاني، تعيد المرح مرة أخرى للأصولية، صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٩٠١٩، ٨ آب/أغسطس ٢٠٠٣.

اسم (**حفلة شواء لدى المسلمين**) الذي يُتهم فيه أخوان مسلمان بالإرهاب لمجرد وقوع انفجار خلال قيامهما بالشواء في حديقتهما الخلفية، ثم أخرجت نواز فيلماً قصيراً آخر عام ١٩٩٨ باسم (**التهديد بالقتل**) وقدمت فيه قصة كاتبة مسلمة لا تجد وسيلة أفضل للشهرة من ادعاء استلامها رسالة تهديد بالقتل من متطرفين إثر كتابة روايتها الأولى. ومع سخرية نواز اللاذعة في الفيلمين من العقلية الغربية إزاء تعاطيها لقضايا المسلمين فقد حظيت بإعجاب كبير لدى عرضهما في مهرجان تورنتو السينمائي.

تابعت نواز نشاطها بنجاح وأسست شركة إنتاج خاصة، وأنتجت أفلاماً قصيرة أخرى وشريطاً وثائقياً باسم (**أنا والمسجد**) (٢٠٠٥)، وتنوعت مهاراتها ما بين الإخراج والإنتاج وكتابة النصوص. أما عملها الأهم فهو المسلسل الكوميدي (**مسجد صغير بين المروج**) الذي كتبت نصوص مواسمه الأربعة منذ ٢٠٠٧، وحظي باهتمام كبير في كندا وسويسرا وبعض الدول الإفريقية، وتحاول نواز من خلاله التعرض لصعوبات اندماج المسلمين في كندا بأسلوب هزلي وكسر حلقة الإرهاب المغلقة، ولا تترك سخريتها أحداً سواء من المسلمين أو غيرهم. ويمكن القول بأن نواز تمثل بحجابها وانفتاحها الثقافي الجيل الثاني -أو الثالث- من مسلمي أمريكا الشمالية، الذين يجمعون في شخصياتهم الناجحة والواثقة مزيجاً من ثقافتي الشرق والغرب، وعلى نحو يستحيل معه تصنيفهم دون الأخذ بعين الاعتبار هويتهم الهجينة مما يبرر لنواز بعض ما يتضمنه عملها من تساهل.

على الضفة الأخرى للأطلسي، تعمل منتجة شابة أخرى لتحقيق الأهداف نفسها في بريطانيا، وهي (**أسماء حسن**) التي شاركت في إنتاج وتصميم أزياء عدد من الأفلام البريطانية قبل أن يظهر اسمها في ملصق الفيلم الكوميدي (**الكافر**/The Infidel) (٢٠١٠)، الذي يمكن تصنيفه مع

عدد محدود من الأفلام ضمن توجه جديد في السينما الأوربية-الأمريكية، يسعى لتأسيس نظرة أكثر تفهماً للمسلمين في الغرب، وغالباً ما تكون الكوميديا خير وسيلة لتمهيد الطريق الوعر أمام القضايا الحساسة، خصوصاً عندما يرغب كاتب نص يهودي (ديفيد باديل) في التأكيد على أن تسعة وتسعين بالمئة من المسلمين في بريطانيا لا يؤيدون الإرهاب[١]. ومع أننا نتحفظ على بعض ما ورد في الفيلم فمن المهم الإشادة بهذا الجهد، وخصوصاً عندما يتجرأ الفيلم على إظهار اليهود في الطرف المقابل على قدر ما من العنصرية تجاه المسلمين. ونشير إلى أن (أسماء) تعد أول مسلمة تنتج فيلماً بريطانياً، ونقتبس من إحدى التصريحات قولها: «والداي طبيبان ولكني لم أرد أن أكون مثلهما، بل أردت عمل شيء يؤثر في المجتمع والنظرة إلى المسلمين... لم أرد أن أصنع أفلاماً فحسب، بل أردت صناعة أفلام مختلفة، وفكرت في أن وجود اسمي على ملصق هذا الفيلم سيشكل فرقاً كبيراً»[٢]، لذا نأمل لها بدورنا النجاح في تحقيق هذه الأهداف.

---

(١) نقلاً عن شبكة euronews بتاريخ ٩/ ٤/ ٢٠١٠.

(٢) نقلاً عن صحيفة براقش نت الإلكترونية، بتاريخ ٨/ ٤/ ٢٠١٠.